



الكرسي الرسولي

سيسنرف ابابلا ةس ادق ة طع

سّهلإل س ادقلا يف

نينا عّشلل دحأ يف

2023 ليربأ/ناسين 2 دحلأ

سرطب سيّدقلا ةحاس

[Multimedia]

"إلهي، إلهي لماذا تركتني؟" (متى 27، 46). إنه ابتهاج، تدعونا الليتورجيا اليوم لنكرره في مزمو الرّدّة (راجع المزمور 22، 2)، وهو الابتهاج الوحيد الذي تلفظ به يسوع على الصليب في الإنجيل الذي سمعناه. وهي كلمات تقودنا إلى قلب آلام المسيح، وإلى قمة العذاب الذي تحمله ليخلصنا.

آلام يسوع كثيرة، وفي كل مرة نصغي إلى رواية الآلام، فإنها تنفذ في نفوسنا. كانت آلاماً جسدية: لنفكر في الصّفة، والضربات، والجلد وإكليل الشوك، وأخيراً عذاب الصليب. وعذابات في النفس: خيانة يهوذا، وإنكار بطرس، وإدانات دينية ومدنية، وسخرية الحراس، وإهانات عند الصليب، ورَفُض الكثيرين، وقَسْل كل شيء، وخذلان التلاميذ. ومع ذلك، في كل هذا العذاب، بقي أمر واحد أكيد ليسوع وهو: قُرب الآب منه. ولكن الآن حَدَثَ ما لا يمكن تصوّره. قبل أن يموت صَرَخَ قائلاً: "إلهي، إلهي لماذا تركتني؟".

هذا هو الألم الأشدّ، وهو ألم الروح: قمة المأساة أن يسوع يشعر بأن الله قد خذله. قبل هذه المرة، لم يدع إطلاقاً الآب بالاسم العام "الله". ولكي يعبر الإنجيل عن قوّة ذلك الحدث، ذكر الجملة التي قالها يسوع، باللغة الآرامية: (إيلي إيلي لَمَّا شَبَقْتَانِي). إنها الكلمات الوحيدة، من بين الكلمات التي قالها يسوع على الصليب، التي وصلت إلينا باللغة الأصلية. فالحدث الحقيقي هو الانحدار الذي بلغ أقصى الحدود. أي خذلان أبيه له، خذلان الله. جاء الرب يسوع يتألم لشدة حبه لنا، وإنه ليصعب علينا حتى أن نفهم ذلك. رأى السماء مغلقة، واختبر حدود الحياة المُرّة، وغرّق سفينة الحياة، وانهيار كل يقين: وصَرَخَ "سؤال الأسئلة: لماذا؟". "أنت، يا الله، لماذا؟".

إلهي، إلهي لماذا تركتني؟ الفعل "ترك" له معنى قويّ في الكتاب المقدّس. استُخدم في لحظات الألم الشديد: في حالات الحبّ الفاشل والمقابل بالرفض والخيانة، وفي حالات رفض وإجهاض الأبناء، وفي حالات الطلاق والترمّل والتّيمّم، وفي الزواجات المنهكة، وفي حالات الإقصاء التي تمنع الروابط الاجتماعية، وفي المظالم وفي العزلة الناجمة

لماذا وصل إلى هذا الحد؟ من أجلنا، لا يوجد جواب آخر. من أجلنا. أيها الإخوة والأخوات، هذا ليس مشهداً اليوم. كل واحد منا، عندما يصغى إلى حدث خذلان يسوع، سيقول: من أجلي. هذا الخذلان هو الثمن الذي دفعه يسوع من أجلي. تضامن مع كل واحد منا إلى أقصى حد، ليكون معنا حتى النهاية. اختر الخذلان لكي لا يتركنا رهائن الكآبة ولكي يبقى إلى جانبنا دائماً. صنع يسوع ذلك من أجلي، ومن أجلك، حتى إذا كنت أنا، أو أنت، أو أي أحد، في مأزق، ظهره إلى الحائط، وتائهاً في طريق مسدود، وغارقاً في هاوية الخذلان، ومُهَكَّاً في دوامة الأسئلة الكثيرة والتي لا جواب لها، بقي له رجاء. هذه ليست النهاية، لأن يسوع كان في مثل حالتك، وهو الآن معك: هو الذي تألم بسبب البعد والخذلان لكي يستقبل في حبه كل مسافة وبعد. ولكي يستطيع كل واحد منا أن يقول: في سقطاتي، وفي كآبتي، وعندما أشعر بالخيانة وبالإقصاء والخذلان، سأجدك هناك. وعندما أشعر بأنني أخطأت وأنني ضائع، وعندما لا أستطيع أن أتقدم بعد، فهو معي؛ وأمام أسئلتنا الكثيرة "لماذا؟" والتي لا جواب لها، إنه موجود هناك.

هكذا يخلصنا الرب يسوع، من داخل أسئلتنا "لماذا؟". من هناك يظهر الرجاء. على الصليب، واجه يسوع الخذلان الشديد، ولم يئأس، بل صلى وكان واثقاً. صرّح سؤاله "لماذا؟" بكلمات المزمور (22، 2) وسلم نفسه بين يدي الآب، ولو شعر أنه بعيد (راجع لوقا 23، 46). في وسط الخذلان سلم أمره لله. ليس هذا فقط: بل في الخذلان استمر في محبة تلاميذه الذين تركوه وحده، وغفر لصالبيه (الآية 34). هاوية الشرّ فينا غمرها بحب أكبر، فصار كل انفصال فينا تواصلاً.

أيها الإخوة والأخوات، حب مثل هذا، كله لنا، حتى النهاية، يمكن أن يبدّل قلبنا الذي من حَجَر إلى قلب من لحم. إنه حب الرحمة والحنان والرفقة. المسيح المتروك يدفعنا إلى أن نبحث عنه وأن نحبه في المتروكين. لأنهم ليسوا فقط هم المحتاجين، بل يسوع فيهم، هو المتروك، وهو الذي خلّصنا بانحداره إلى أعماق حالتنا البشرية. يريدنا أن نعتني بالإخوة والأخوات الأكثر شبيهاً به، وفي أقصى درجات الألم والوحدة. يوجد اليوم عديدون هم "المسيح المتروك". هناك شعوب كاملة مستغلة ومتروكة لحالها. هناك فقراء يعيشون على مفترقات طرقنا وليس لدينا الشجاعة بأن يلتقي نظراً بنظرهم، ومهاجرون لم يعودوا وجوهاً تُعرف، بل صاروا أرقاماً، وهناك سجناء مرفوضون، ومصنّفون أنهم "مشاكل". وهناك أيضاً كثيرون هم مسيح متروك، غير مرئيين، ومخفيون مُبعدون بأيدٍ ناعمة لطيفة: أطفال لم يولدوا، وكبار متروكون وحدهم، ومرضى لا يزورهم أحد، ومعاقون يتجاهلهم الجميع، وشباب يشعرون بفراغ كبير في داخلهم، ولا أحد يستمع إلى صراخهم وألمهم.

يسوع المتروك يطلب منا أن يكون لدينا عيون وقلب للمتروكين. لنا، نحن تلاميذ يسوع المتروك، لا أحد يمكن أن يكون مهمشاً، ولا أحد يمكن أن يُترك لحاله. لتذكّر أنّ الأشخاص المرفوضين والمستبعدين هم أيقونة حياة للمسيح، وبذكرونا بحبه المجنون، وبخذلانه الذي خلّصنا من كل عزلة وبؤس. أيها الإخوة والأخوات، لنطلب اليوم هذه النعمة: أن نعرف كيف نحب يسوع المتروك، وأن نعرف كيف نحبه في كل متروك. لنطلب النعمة لنعرف أن نرى الرب يسوع ونعرفه هو الذي لا يزال يصرخ فيهم. لا ندع صوته يضيع في صمت اللامبالاة المدوي. لم يتركنا الله وحدنا. لنعتن نحن بالذين تركوا وحدهم. إذّاك، وإدّاك فقط، نجعل رغباتنا ومشاعرنا، مثل رغبات ومشاعر الذي من أجلنا "تجرّد من ذاته" (فيلبي 2، 7).
